شمس العدالة في تركيا

(تابع ما قبلهُ)

الاتراك شعب حريٌّ بالاعجاب

في البلاد العثمانية خمسة وعشرون مليوناً من السكان وخمسة ملايين منهم اتراك من سلالة رجال عثمان الاول الذين خرجوا من اواسط اسيا وامتدُّوا في فتوحهم الى اوربا وهم شعب يُحبب بهِ توريٌّ باسل . نتكلم هنا عن الشعب التركي بالاستخفاف لكنهُ ليس بالشعب الذي يستخف بهِ . وحسبكم دلالة على مقدرتهِ انهُ تسلط على الممالك العثمانية ستمئة سنة . والسلطان الحالي سلطان مقتدر والذين رأوهُ يعلمون انهُ ليس كما يصورهُ ارباب الصحف المزلية فهيئتهُ تدل على انهُ رجل مقتدر وسياسي حاذق عالي الهمة مع انهُ صار في السادسة والستين من عمرهِ . ولقد كان في خلال الثلاثة والثلاثين عاماً الغابرة اي منذ تاريخ مجلس المبعوثان الاول الى الآن مهتماً بفتح المدارس وبناء المساجد وانشاء المستشفيات واخذ الاحتياطات الصحية لتحسين صحة رعيتهِ ومد السكك الحديدية ولاسيما سكة حديد الحجاز العظيمة التي انشأها من دمشق الى مكة في السنين الاخيرة

ويلي العنصر التركي عناصر مختلفة كالارمن والاكراد والشراكسة والالبانيين والسوريين والمكدونيين والبلغاريين والسربيين واليونانيين كل هؤلاء عناصر ذات مقدرة وكفاءة وهناك العرب والتاريخ شاهد ببلغ قوتهم وبسالتهم

اما المناسة الناشئة عن اختلاف الاجناس والمذاهب فلا رجاء بالتغلب عليها الاَّ بقوة الوطنية وقوة العلم وانارة الاذهان وتأثير الدين

شيدت مدارس عديدة في المملكة العثمانية في الثلاثين سنة الماضية للمسلمين والمسيحيين واظن ان عددها اليوم نحو اربعين الف مدرسة يدرس فيها نحو مليون ونصف مليون من الصبيان والبنات . وطريقة التعليم غير راقية ومع هذا فقد كنت في جنوب سورية منذ بضعة اشهر فزرت قرية صغيرة على بعد من السكة الحديدية وعلى بعد مئات من الاميال من دمشق . في تلك القرية الصغيرة مدرسة اهلية وتلامذة . وكثير مثل هذه المدارس منتشر في جميع انحاء المملكة فهذه المدارس وان لم يكن التعليم فيها غير راقٍ فانها ناجحة ومتقدمة فالمدرسة مدرسة والتلميذ الذي يقصدها الآن قد قرع باب العلم والترقي الذي يفتح الى القرن العشرين

الكليات الاميركية في تركيا

استطرد الكلام الآن الى الكلية التي لي علاقة بها فاقول انها من طبقة المدارس والمعاهد العلمية العالية المتفرقة في جهات مختلفة من السلطنة العثمانية وحبذا لو وسعني الوقت للكلام على المعاهد العلمية الاخرى كالمدارس الكاثوليكية واعمالها. واني اتكلم عن المدرسة الكلية السورية الانجيلية لانها انموذج للكليات الاميركية في المملكة العثمانية واعتقد ان لهذه الكليات افضل في انارة اذهان الاهالي وتثقيف عقولهم وهي كثيرة فمنها واحدة في عينتاب وواحدة في خربوط وواحدة في ازمير وواحدة في مرسوفان وواحدة في طرسوس وواحدة في الاستانة وهناك كلية للبنات ايضاً. وقد انشأ الاميركيون هذه الكليات في المملكة العثمانية ليتسنى للعثمانيين الحصول على المزايا العلمية والادبية التي حصلنا نحن عليها

دعوني الآن انظركم برهة الى بيروت — تلك المدينة التي اعدها اجمل مدينة في العالم — والى محلّ الكلية حيث ترون جميع الطلبة مجتمعين وعلى منبرها سيعون استاذاً ومدرساً يمثلون عناصر مختلفة عديدة مع ان اكثرهم من الاميركيين وقبالتهم ثماني مئة طالب او تسع مئة. فالى الجانب الايمن طلبة المدرسة الطبية وفي الوسط طلبة المدرسة العلمية والى الجانب الايسر طلبة المدرسة التجارية وطلبة المدرسة الصيدلية ووراءهم طلبة المدرسة الاستعدادية. وربما لا يروق لكم منظر هؤلاء الطلبة لاول وهلة لانكم لتوقعون ان تروا منظراً غريباً غير مألوف. فانهُ عوضاً عن ان يبقى الطلبة بملابسهم الوطنية يجتهدون في تقليد ملابسنا التي لا تروق لعين الناظر ولكن عندما تسألون من اين جاؤوا ومن هم يتبين لكم فوراً كيف ان تلك المدرسة وسيلة مهمة للتغلب على ما ذكرتهُ آنفاً من المنافسة وقد تظنون انهم كلهم على المذهب البروتستاني وذلك خلاف الواقع لان البروتستانت منهم يعدون على الاصابع فمنهم نيف ومئة طالب من المسلمين ونحو مئة من الاسرائيليين ومئة من اليونان ومن خمسة عشر الى عشرين طالباً من بلاد الفرس وهناك تلامذة من الهند وتلامذة من البلغار وتلميذ من صحراء جوبي. ولا كنتم من اعضاء الجمعية الجغرافية فانتم ولا مشاحة تعرفون موقع هذه الصحراء. ان طلبة المدرسة الكلية في العام الماضي انوا من ٣١٤ مدينة وقرية. ولا يخفى ان الطلبة الذين يصرفون عاماً واحداً او اربعة او عشرة اعوام في الكلية ثم يعودون الى بلدانهم المختلفة ويختلطون باهلها يكون لهم تأثير فيهم ومتى تبين لكم ذلك قدرتم هذا التأثير حق قدره وعرفتم ما لهذا المعهد العلمي من النفع الجزيل

بقي علينا المسألة الدينية وهي اهم من سواها. تعلمون ان كليتنا مسيحية وفي كلية

مسيحية مثل غيرها من الكليات المسيحيَّة في هذه البلاد وقد وُجدنا في تلك الكلية لنشرك الشبان الذين فيها على اختلاف ملاهم ونحلهم في ما يلقاه من سمو المبادىء المسيحية لا لتغيير معتقداتهم ولا لتجريعهم الدين المسيحي . ووجدنا ايضاً لنشاركهم في احسن المنافع التي تناها ونالتهم افضل ما في المكتبة وافضل ما في غرف التدريس وافضل الآداب الدينيَّة التي بلغناها . ان اولئك الشبان المسلمين يفتخرون بدينهم و يعدونهُ ديناً عظيماً فيجب علينا ان نسير معهم طبقاً للمبدإ العظيم الذي وضعهُ مؤسس الدين المسيحي حيث قال " ما جئت لانقض بل لاكمل "

اعظم صاحب للنبي

تعلمون شيئاً عن تاريخ الاسلام في اوله وعن زعمائهِ الاولين وعن الامام عمر الذي كان صديقاً للنبي ثم صار من خلفائهِ وتعلمون شدة حرص هذا الخليفة على حماية الدين والتمسك بتحريم الخمر طبقاً لنص القرآن . فقد بلغهُ مرة ان نفراً من المسلمين اصابوا الشرب في الشام فكتب الى ابي عبيدة (وكان الوالي من قبلهِ في بلاد الشام) ان ادعهم فان زعموا ان الخمر حلال فاقتلهم وان زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة . فبعث اليهم فألم على رؤوس الاشهاد فقالوا حرام فجلدهم ثمانين

هذا هو عمر الذي لما تولى الخلافة وقف في الناس وقال " ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ لهُ بحقهِ وان اضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منهُ "

في استطاعتكم الآن ان تتصوروا كيف ان اولئك الشبان المسلمين يصغون الى قراءة التوراة على المنبر يومياً والى ما يقال تفسيراً اوحقاً . ولقد قلت سابقاً اننا لا نقصد ان نجرعهم الدين تجريعاً وهم ليسوا في الكلية ليصيروا مسيحيين او ليشدينوا بدين غير دينهم كلاَّ وانما نقصد ان نشركهم معنا في ما لدينا من الكمالات او الغايات السامية . لا نطلب منهم ان يعملوا شيئاً مخالفاً لدينهم بل نقول لهم بحرية ان التهذيب لا يكون كاملاً الاَّ اذا شمل تهذيب النفس والروح وان خير ما لدينا لنشركهم فيهِ هو الكمالات الدينيَّة فاذا لم يستطيعوا دخول كنيستنا براحة ضمير فعليهم ان ينشئوا عن مدرسة اخرى غير مدرستنا

لا نجبر المسلمين ولا اليهود ولا الدروز ان يحنوا رؤوسهم في كنيستنا بل ننتظر منهم ان يكونوا هنالك كما ينتظرون منا ان نكون لو دخلنا جامعاً او مدرسة اسلامية اي احترام مكان العبادة وكذلك هم يفعلون . ونقول لهم ايضاً ان الالمام بتاريخ الديانة المسيحيَّة لازم لهم كما ان الالمام بتاريخ الديانة الاسلامية والديانة البوذية والديانة الصينيَّة لازم لنا

ويسرني ان اقول واراني اول الخليقة عينها اننا لم نُتَّهم قط بمعاملة الطلبة المسلمين او اليهود او الدروز معاملة غير عادلة

اتذكر مرة ان الطلبة المسلمين كانوا يؤدون فريضة الصوم والصلاة وهم راكع في غرفة النوم. وعلمت بعد ذلك ان بعض الطلبة من المسيحيين مقتوا بهم ولما كان ذلك مخالفاً لمشرب الكلية انتهزت فرصة اجتماع الطلبة واعتذرت اليهم عمَّا فعلهُ اولئك الذين يدعون انهم مسيحيون. فعلت ذلك وانا اعتقد انهُ امر بسيط ولكن هل تصدقون انهُ اهاج الطلبة المسيحيين فاخذوا يتساءلون قائلين الى من وجه الرئيس كلامهُ وما القصد منهُ وهل صار مسلماً حتى يعتذر الى المسلمين

وعلى هذا المنوال يكون الطلبة المسلمون عندما يتركون الكلية ملمين بمبادىء الدين المسيحي يقدرون هذا الدين الذي اوصل المسيحيين الى ما هم عليهِ حق قدرهِ وكذلك الحال مع اليهود والدروز. وليس غرضي مما ابنتهُ الاَّ ان ابين اسلوب الكلية واظهر لكم كيف اننا بين هذه الاديان المختلفة احرز المبدأ الديني بقطع النظر عن مختلف الاديان وذلك بجهرنا بمبادىء الديانة المسيحية بحرية وجلاء وهذا هو السبب في ان السعاية طالب تقريباً الذين عندنا يتألفون ثبتاً نثبتاً مع ان عدد الطلبة البروتستانت بينهم قليل جداً

الامير والفلاح متساويان في لعب الكرة

وكذلك الحال في المسائل السياسية فان كل طالب يدخل كليتنا يفهم اننا كطلبة واساتذة لا ننظر الى كلة الانقلاب بمعناها السياسي بل نفسرها بانها ضد الجهل والتباوة وبانها توجب صرف القوى الى ما يرقي العقل وينير الذهن فيدرك الطلبة بذلك تدريجاً ان في استطاعة الرجال مع ما هم عليهِ من اختلاف العناصر والاميال السياسية ان يشتركوا في مشرب واحد ووطنية واحد. اتذكر ان كثيرين من طلبة الكلية بيتوا لما زارنا المستر بريان (الزعيم الاميركي) وقرينتهُ ورأونا نكرم وفادتهما ونرحب بهما مع ان اكثرنا من الحزب الذي هو ضدهُ واتذكر ان المستر بريان القى علينا حينئذٍ خطبة رقاقة ستبقى في حافظة الطلبة زمناً طويلاً

ونراعي هذا المبدأ ايضاً في ساحة الالعاب الرياضية حيث ترون نجل الامير يلعب كرة القدم مع ابن الفلاح او ابن الطباخ. ونحن نعتقد بمنفعة لعب كرة القدم هناك وعندنا سبع عشرة او ثماني عشرة فرقة يمارسون هذا النوع من اللعب الذي ينمي في الطلبة القوة على الصبر واحتمال الضيم فاذا اصيب اللاعب بضربة شديدة فلا ينفش ريشهُ ولا يستل خنجرهُ

وهذا يجعل الطلبة يخرجون الى العالم رجالاً كما يجب ان يكون الرجال

وهذه المبادئ نفسها تنشى في غرف الطعام حيث تجدون طلبة من جميع العناصر والاديان يخدمون على المائدة مقابل اجرة تعليمهم وثمن طعامهم وهذه امثولة للاميركيين كما هي للسوريين

ما هو مصير المتخرجين من كليتنا ؟ يسهل جداً جمع الطلبة اذا قلت لهم حيّ على العلم علماً الى اسباب العمران التي امتاز بها القرن العشرون . ولكن من المحتمل ان يدور في خلدكم الآن سؤال وهو كيف تحافظون على اولئك الطلبة وكيف تخرجونهم الى العالم ؟ فالف ومئتي مئة قد تخرجوا من كليتنا بعد ان نالوا الشهادات المختلفة فمنهم الاطباء والجراحون والصيادلة وحاملو الشهادة العلمية وغيرهم . ترون منهم الاطباء في برالاناضول وبلاد مصر وبلاد السودان حتى خط الاستواء . ترون منهم القضاة والمحامين واساتذة المدارس ووعاظ الكنائس . على ان هؤلاء الالف والمئتي مئة ليسوا شيئاً ازاء العدد العظيم من الذين يدخلون الكلية ويخرجون منها قبل اتمام دروسهم او بعد اتمام بعضها

اعترف ان لي ضلعاً مع المدرسة الكلية ولكني اؤكد لكم اني اجتهدت لا توخّي الصدق والحق في ما اقوله لكم فاطلب منكم ان تحكموا بانفسكم هل هؤلاء الالف والمئتي مئة الذين خرجوا الى العالم بعد اتمام دروسهم لا يكونون قوة قادرة على حسم العداء الجنسي وهدم اركان التعصب الديني أو لا يكونون قوة لوضع اساس وطنية حقة وجامعة اخوية واتحاد بشير يستقبل مجيد السلطنة العثمانية

والحق يقال ان الصعوبات التي تعترضنا عظيمة جداً ولكن لا تنسوا ان ثماني كليات او تسعاً تعمل عملها في تركيا فاينما وجد متخرج من هذه الكليات وجد نور جديد يضيء الجهة المحيطة به . فمن عيادة ذلك الطبيب . ومن مكتب ذلك المحامي . ومن منزل ذلك الواعظ تنبعث قوة في سبيل الاصلاح والمدنية — وتلك القوى متجهة الى مركز واحد وهي تبدد ظلام الجهل والغباوة

تركيا صديقتنا الوحيدة سنة ١٨٦٣

ان والدي الجليل مؤسس هذه الكلية واول رئيس لها وهو الآن في السادسة والثمانين من عمره زار مدينة وشنطون منذ ست واربعين سنة وقابل الرئيس لنكلن . وكان اخوانه المرسلون في سورية قد كلفوه بزيارة الناظر سيورد لمفاوضته في خلاف طفيف وسوء تفاهم يتعلق باعمالهم في تلك البلاد والاستفهام من حكومة وشنطون هل تستطيع مخابرة تركيا لوضع

حد لتلك المشاكل البسيطة . فاجابهُ المستر سيورد بعد ان سمع اقوالهُ قائلاً " اتعلم يا دكتور بلس ان تركيا هي الدولة الوحيدة التي شاركتنا في العواطف والاحساسات في هذه الحرب الاهلية " . فلم يتمالك والدي بكاءهُ بل احنى رأسهُ وخرج من لندنة لانهُ فهم المراد

يجب ان لا تكتفي بارسال رسالة بسيطة من مجلس امتنا الى الامة العثمانية في هذه الساعة المهمة في تاريخها . يجب ان لا تكتفي بذلك ايها السادة والسيدات نحن ابناء هذه الجمهورية التي وان لم تنل حتى الآن كل غايتها من الحرية لكنها قد سارت في سبيلها شوطاً طويلاً في طريق لا يخلو من العقبات . ألا يجب علينا ان نرسل اليها رسالة يفهم منها اننا نؤيد تلك المدارس والمعاهد العلمية التي هي من وسائل العمران في البلاد العثمانية ان لم يكن لذلك اسباب تمنع ارسال رسالة مثل هذه

علمت ان كثيرين منكم هنا في وشنطون قد اهتموا بمشروع مجيد وهو انشاء مستشفى للعاملين في لبنان وهو اول مستشفى من هذا النوع في المملكة العثمانية وما من احد ينكر نفعهُ ولكني الفت انظاركم ايضاً الى المشروعات الاخرى التي لا تقتصر على الفوائد الصحية والعقلية بل تحاول ترقية المملكة العثمانية روحياً وادبياً ايضاً

واني اشكركم من صميم الفؤاد على اصغائكم اليَّ ولي رجاء واحد وهو انكم تزورون البلاد العثمانية فتشاهدون نور الحرية والاخاء والمساواة في تلك السلطنة السنية

ترجمة خطبة بوفون في صناعة الانشاء

تمهيد للمترجم

ان بوفون المشيء الفرنسوي المشهور وُلد سنة ١٧٠٧ وتوفي سنة ١٧٨٨ وقد كان احد الثلاثة الذين احرزوا لعصرهم في البلاد الفرنسوية اعظم ما يصل اليهِ من النفوذ الفكري من ملك ناصية البلاغة كما صرّح بذلك احد المؤلفين في كتاب لهُ في تاريخ البلاغة الفرنسوية . ومن آثاره المشهورة خطبة لهُ في صناعة الكتابة خطبها يوم انتظامهِ في عداد اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي فصادفت من الاستحسان عند العلماء والادباء ما هي جديرة بهِ ولم تزل الى اليوم من آثار القلم المكرّمة ولن تزال فأحببت ترجمتها بالعربية ونشرها في مجلة المقتطف الشيخة عمراً وحكمةً والفتاة نشاطاً وهمةً فان تعريب مثل هذه الخطب المعبرة يعد من انفس ما يهدى الى الالباب